8 سياسات سيتعامل بها ترامب مع الملف الفلسطيني

الثلاثاء 12 نوفمبر 2024 09:30 م

كتب: د محسن محمد صالح

إن شخصية ترامب النرجسية، المسكونة بالرغبة في الإنجاز، والمحكومة بعقلية التاجر "الجشع" المندفع، والتي تنظر للمشروع الصهيوني من خلال خلفيات دينية "مسيحية إنجيلية" بالإضافة إلى المصالح الإستراتيجية الأميركية في سياقها الإمبريالي، ستشكل دعمًا كبيرًا لنتنياهو وسياسته؛ غير أنها بسبب سلوكها الذي لا يمكن التنبؤ به، وبراغماتيتها قد تشكل عنصرًا ضاغطًا على منظومة الحكم الصهيونية فيما قد تراه تعارضًا في الأولويات أو القدرة على تحقيق المنجزات.

شخصية ترامب

ترامب الذي انتُخِب الرئيس الـ 47 للولايات المتحدة، سيدخل بثقة إلى البيت الأبيض بعد أن ضمنَ فوزًا مريحًا في المقاعد اللازمة لانتخابه، وفرقًا كبيرًا في أعداد المصوتين لصالحه على مستوى الولايات المتحدة (نحو خمسة ملايين صوت)، وتبدلًا لصالحه في مجلسي النواب والشيوخ

وهذا سيُعزِّز قدرته على المضي في برنامجه وطموحاته، وتجاوز آثار خسارته في الانتخابات السابقة في 2020.

تبدو قراءة شخصية ترامب أمرًا مهمًا في توجيه السياسة الأميركية للسنوات القادمة، بالرغم من البناء المؤسسي القوي لمنظومة الدولة؛ لأن هذه الشخصية تسعى بطبيعتها لفرض نفسها ورؤيتها ولا تعبأ كثيرًا بالعمل المؤسسي.

وقراءتنا لشخصيته تستفيد من استخلاصنا لسلوكه السياسي وتجربته في الحكم (2016-2020)، ومما كُتب ونُشر عنه، مثل دراسة البروفيسور دان مارك آدمز "حالة دونالد ترامب الغريبة: دراسة نفسية"، وكتاب "الخوف" الذي ألّفه بوب وودوارد حول شخصية ترامب وغيرها، وفيما يلي أبرز معالم شخصيته:

1. النرجسية

حيث ثمة شبه إجماع على أنه شخص نرجسي، يعشق نفسه "كأعظم شيء جميل في الكون"، ويعتقد بمثاليته، وأنه يعرف كل شيء ويفهم كل شيء، وأنه الشخصية "المنقذة" لأميركا، وأنه منتصر دائمًا، ولا يعترف بالفشل.

2. لا يمكن التنبؤ بسلوكه **unpredictable**

شخصيته لا تستند إلى بنية فكرية منظمة واضحة، توجهه بشكل موضوعي نحو اتخاذ القرار، ويتميز بالاندفاع، بل وحتى التَّهور في العلاقات الخارجية؛ ويبني عددًا من توجهاته بناءً على قراءات غير مكتملة، وتستند إلى معلومات وانطباعات خاطئة.

وهو ما دفع، مثلًا، شخصية يهودية صهيونية أميركية مؤثرة كالملياردير حاييم سابان لدعم كامالا هاريس؛ لأنه يخشى أن يُغيّر سلوكه في أي لحظة، ولأنه بحسب رأي سابان يكره نتنياهو، وكرهه لنتنياهو قد يتحول إلى انتقام.

3. شخصية التاجر

الذي يتسم بالسلوك البراغماتي، الخاضع لحسابات الربح والخسارة، والذي يستخدم أوراق القوة التي لديه للابتزاز، و"عصر" الخصوم وحتى الأصدقاء، ولا يبالي بلعب دور "الفهلوي النذل الجشع" لتحقيق أهدافه

ولأنه بالفعل يدير أعمالًا تجارية، ويملك ثروة تزيد عن ستة مليارات دولار، فإن ذلك يزيد من ثقته بنفسه وقناعاته بقدراته.

4. المسيحية الإنجيلية

تلعب الميول الدينية لترامب – خصوصًا تلك المتعلقة بالنبوءات لدى الجماعات المسيحية الإنجيلية، حول تجمع اليهود في فلسطين، ونزول المسيح عليه السلام، ومعركة هرمجدون والعهد الألفي السعيد – دورًا مهمًا في صناعة توجهاته في دعم الصهيونية ومشاريعها في المنطقة، دون الاكتراث بمبادئ حقوق الإنسان، وحقّ تقرير المصير للشعب الفلسطيني، وحلّ الدولتين، وغيرها.

وهو يستند في جانب كبير من شعبيته إلى المسيحيين الإنجيليين، الذين يشكلون قوة كبيرة في الحزب الجمهوري.

5. شخصية مسكونة بالإنجاز

وهي شخصية ترى في نفسها شخصية تاريخية، قادرة على الحسم واتّخاذ القرارات، ولا يهمها كثيرًا رضا الآخرين أو غضبهم، ما دامت قد رأت أنّ ما تفعله هو الصحيح وهو ما دفعه سابقًا لاتّخاذ قرار بنقل السفارة الأميركية إلى القدس، والاعتراف بضم الاحتلال الصهيوني للجولان، ومحاولة فرض خطة "صفقة القرن."

6. شخصية "تأزيم"

هذه الشخصية بطبعها، بناء على النقاط السابقة، شخصية تصنع الأزمات، وتدير الأزمات، وتعيش مع الأزمات، و"تقامر" وتلعب سياسة "حافة الهاوية"، وتحاول فرض إرادتها وتوسيع نفوذها على الآخرين؛ وهي وإن كانت قادرة أحيانًا على تحقيق ما تريد، إلا أنّها قد تثير "أعشاش الدبابير" عليها؛ وهو ما قد يتسبب في إفشالها أو إعاقة أدائها، لأن هناك العديد من القوى التي ترفض هكذا عقلية، وتملك أيضًا من الإمكانات والقوة والإرادة ما يمكنها من مواجهته.

التعامل المتوقع مع الملف الفلسطيني

بناء على تجربة ترامب السياسية، وعلى معرفة طبيعته الشخصية، وعلى التوجهات العامة للحزب الجمهوري والقاعدة الشعبية لترامب، فإنّه من المتوقع أن تكون أبرز معالم تعامل ترامب مع الملف الفلسطيني كما يلي:

1. الحرب الصهيونية على غزة ولبنان
أبدى ترامب رغبته أكثر من مرة في أن ينهي نتنياهو حربه على غزة قبل بدء ولاية ترامب الرئاسية في 20 يناير 2025. غير أنّه إنْ وجد أنّ نتنياهو ما زال غارقًا في مستنقع الحرب، فإنه قد يحاول تقديم دعم مضاعف وغطاء أقوى لنتنياهو لإنهاء الحرب بالسرعة الممكنة؛ وقد يستمر على ذلك بعضَ الوقت (ربما أشهرًا)؛ ولكنه إذا وجد أنه لا جدوى من الاستمرار في الحرب، وأنّ المقاومة صامدة وفعالة، فإنه تجنبًا لمزيد من استنزاف الاقتصاد الأميركي، والمزيد من الاستنزاف والإنهاك العسكري والاقتصادي والبشري الصهيوني، قد يمارس ضغطًا أكبر على نتنياهو لوقف الحرب.
وهو الأمر نفسه الذي سيفعله في الحرب الصهيونية على لبنان ولأنه يمثل قمة التطرف الأميركي الداعم للاحتلال الصهيوني، فإنه سيكون في وضعٍ أفضل لممارسة ضغوطه، وسيصعب جدًا أن يزايد عليه أحد في موقفه تجاه الاحتلال.

2. مزيد من تهويد الأقصى والقدس
سيوفر ترامب غطاء أكبر وأوسع لنتنياهو وتحالفه للمضي قدمًا في برامج تهويد الأقصى والقدس؛ وهو ما سيزيد حالة الاحتقان، والغضب في البيئات الشعبية العربية والإسلامية

3. سيسعى ترامب لاسترضاء نتنياهو وتحالفه
و"تعويضه" خصوصًا في حال وقف الحرب على غزة، من خلال توفير الغطاء لضمّ مناطق واسعة من الضفة الغربية، وخصوصًا مناطق "ج" التي تشكل 60% من مساحة الضفة، ومضاعفة الضغوط على أهل الضفة الغربية، وإيجاد بيئات طاردة لإجبارهم على الخروج من الضفة وهو ما يتوافق مع خطط الصهيونية الدينية والمسارات المعلنة وغير المعلنة لليكود، كما يتوافق مع تطلّعات المسيحية الإنجيلية.
وهذا سيلغي عمليًا مسار التسوية السلمية بشكلها المعروف، وسيحاول ترتيب الأمور لإنهاء السلطة الفلسطينية في شكلها الحالي، والسعي لإنشاء كانتونات ومعازل للفلسطينيين داخل الضفة الغربية.
وهو ما يعني في الوقت نفسه اصطناع بيئة متفجرة في الضفة، وحالة اصطدام مع الأردن، الذي يخشى من تدفق نحو مليونَي فلسطيني؛ بسبب هذه الخطط، كما يخشى من برامج التوطين، ومشاريع الوطن البديل في الأردن، وهذا سيضع أيضًا معاهدة التطبيع (وادي عربة) على المحك، كما سيضاعف الضغوط الشعبية الأردنية لإلغاء المعاهدة، ودعم المقاومة

4. سيدفع ترامب بمزيد من الجهود لمحاولة القضاء على حماس وتيار المقاومة
ونزع أسلحة حماس في قطاع غزة، ومنعها من حكمه بشكل مباشر أو غير مباشر، وفرض المعايير الصهيونية الأميركية عليه، لما يعرف باليوم التالي للحرب في القطاع.

5. سيتناغم ترامب مع نتنياهو في سعيه لفرض نظام أمني جديد في المنطقة
(كما أعلن في أكتوبر/ تشرين الأول 2024) وهو ما يعني مزيدًا من الضغوط على دول المنطقة، خصوصًا في البيئة الإستراتيجية المحيطة بفلسطين المحتلة، للاستجابة للمعايير الصهيونية في التعامل مع شعوبها؛ بما في ذلك محاربة تيارات "الإسلام السياسي" والتيارات الداعمة للمقاومة المسلحة؛ بل ومحاربة مظاهر التديُّن والالتزام الإسلامي، وخنق ما تبقى من هوامش الحريات وهذه وصفة جاهزة لصدام الحكومات مع شعوبها.

6. يمارس ترامب مزيدًا من الضغوط على إيران
وخصوصًا في الجانب الاقتصادي ومحاولة عزلها وعزل "محور المقاومة" وإضعافه ومنعه من تقديم الدعم الفعال للمقاومة في فلسطين.

7. سيحاول ترامب الضغط على السعودية للتطبيع مع الاحتلال
من خلال عملية مقايضة لتحسين شروط حياة الفلسطينيين تحت الاحتلال، وتضخيم بعض المكاسب الشكلية أو فارغة المحتوى، أو الوعود التي يستطيع الطرف الصهيوني تجاوزها وتفسيرها على هواه.

8. سيدعم ترامب توجهات الحكومة الصهيونية ضد الأونروا
واعتبارها "كيانًا إرهابيًا"، وسيسعى إلى شطبها وإلغائها على المستوى الدولي.

خلاصة:
ما سبق يعني أن ترامب، خصوصًا في المرحلة الأولى من ولايته، قد يتسبّب بمزيد من تأزيم الأمور ليس تجاه الملف الفلسطيني فقط، وإنما تجاه البيئة الإقليمية بشكل عام.
وقد تؤدي ضغوطه على الأنظمة العربية إلى مزيد من مظاهر خضوعها للهيمنة الصهيونية الغربية، وهو ما سيدفع إلى مزيد من بيئات الإحباط والغضب لدى الشعوب العربية، وما قد يُسرِّع بإيجاد بيئات مشابهة لتلك التي سبقت "الربيع العربي."
أما الخيار الآخر لدى الأنظمة، فهو عدم الخضوع للإرادة الأميركية، خصوصًا فيما ترى أنه عناصر مهددة للأمن القومي أو عناصر تفجير مجتمعي، مثل مشاريع ضم الضفة وتهجير الفلسطينيين منها ومن قطاع غزة، ومشاريع التوطين والوطن البديل، وبالتالي رفع سقف الحريات وانتهاج مسارات أكثر دعمًا للمقاومة وأقل التزامًا بالتطبيع.
ثم إن صمود المقاومة واستمرار أدائها القوي والفعال في غزة والضفة ولبنان، واليمن والعراق، وتوسيع الدعم الإيراني لها، سيزيد حالة الاستنزاف الصهيوني والأميركي وهذا سيجعل ترامب أمام خيارين صعبين: إما الدخول في حرب إقليمية، والوقوع في حالة استنزاف عسكري واقتصادي أميركي لا يرغبها، وإما دفع الطرف الصهيوني للانكفاء، والقبول بحلول أكثر واقعية، والتراجع عن الأهداف التي لا يمكن تحقيقها، والنزول على عدد من شروط المقاومة ولو مرحليًا.
وهذا يعني، وهو الأهم، أن استمرار المقاومة بشكلها الفعال، سيلعب دورًا حاسمًا في إفشال رؤية ترامب لإدارة الملف الفلسطيني، كما يلعب دورًا جوهريًا كخط دفاع أول عن المنطقة ومنع إدخالها في "العصر الصهيوني".